بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

يشعر كل باحث في تاريخ الحروب الصليبية بالأهمية القصوى لأحداث ما يعرف باسم الحملة الصليبية الثالثة، ويعجب كيف انتهت انتصارات صلاح الدين المدوية في يوم حطين ثم تحرير القدس بفاجعة سقوط عكا وانتكاسة صلح الرملة، ويتساءل عن الأسباب: هل هي راسية في إقدام رتشارد قلب الأسد وتدفق النجدات من أوربا، أم كان هناك خلل عظيم في بناء دولة صلاح الدين العسكري والإداري؟ أم أن سبب الداء رسا في بناء أسرة صلاح الدين؟ فقد كان أبرز أفراد هذه الأسرة تقي الدين عمر من الجانب العسكري، والملك العادل من كافة الجوانب،فقد تخلى تقي الدين عمر عن صلاح الدين في ساعة الحرج، وذهب إلى الجزيرة يغامر في سبيل تأسيس ملك واسع له، وبذلك فقد صلاح الدين العبقرية العسكرية التي أسهمت بالدور الرئيسي في حطين وسواها، أما العادل فكان طالب ملك بأي ثمن، والملك كما هو معلوم عقوق وعقيم، أنشأ علاقة ممتازة مع رتشارد قلب الأسد، وأنقذه في النهاية بالتوصل — إن لم نقل بإملاء — شروط صلح الرملة.

هذا ولسلوك العادل وأفراد البيت الأيوبي وحواشيهم فقد صلاح الدين في أواخر أيامه السيطرة على قادة جنده وانتابه التعب العظيم، ويبدو أن المعلومات عن الأوضاع داخل المعسكر الفرنجي كانت تحجب عنه، علماً بأنه امتلك جواسيس كانوا يعرفون كل ما يجري داخل صفوف الأعداء.

لقد حقق رتشارد قلب الأسد بعض التفوق العسكري، ونجح سياساً إلى أبعد الحدود، فقد تخلص من غي ملك القدس أيام حطين، وأزاح كونراد صاحب صور من على مسرح الأحداث بالتعاون مع الحشيشية، وفرض ابن أخته هنري ملكاً على مملكة القدس الثانية التي بعثها إلى الوجود، وهكذا أطال عمر الحروب الصليبية قرناً آخر، والقرن ليس بالزمن القصير.

ولما تقدم من أسباب وأسباب أخرى، اهتممت كثيراً بمصادر أخبار الحملة الثالثة لأن الحملات بعدها أمواج شاردة، ولأن مواد المصادر العربية لا تكفي، ولحسن الحظ تمكنت من تحصيل كتاب ذيل تاريخ وليم الصوري الذي كتبه واحد من الفرنجة البلديين، وهذا الذي أقدم له، وقد كتبه واحد من الفرنجة البحرية الوافدين بركاب رتشارد قلب الأسد، ونضيف إلى هذين المصدرين ما ورد في المجلد المتقدم وما سيرد في المجلد المقبل — إن شاء الله —، هذا ولن أتحدث عن مؤلف مصدرنا الحالي، فهذا قد ورد في مدخل الكتاب وسيرد المزيد حوله في المجلد المقبل.

وإتماماً للفائدة اخترت ثلاثة نصوص هامة جداً، كتبها بعض الحجاج الأوربيين الذين زاروا فلسطين فيما بين: ١١٠٢ و ١١٣٠م ، هذا ولدي المزيد من النصوص ستأخذ محلها في مجلدات مقبلة، والنصوص المقدمة اليوم هامة جداً، لأنه قبيل بداية الحروب الصليبية كانت هناك أوضاع خاصة في فلسطين وبالقدس بالذات نراها من خلال الجغرافيين العرب، وبعض الشيء من خلال رحلة أبي بكر بن العربي صاحب العواصم من القواصم، ثم جاء الاحتلال الصليبي وأحدث الفرنجة الكثير من التغييرات، وتلا هذا حطين وتحرير القدس وإقدام صلاح على إعادة النظر بأحوال المدينة المقدسة: في تطهير المسجد الأقصى وإقامة بيمارستان ومدرسة مع منشآت أخرى.

ومن هنا تنبع أهمية هذه النصوص، فضلاً عن أنها تومىء إلى ما أغفله المؤرخون، حيث واضح من خلالها أن شعب فلسطين العربي قاوم الاحتلال الصليبي بشتى السبل، وأن هذه المقاومة بلغت من الفعالية إلى درجات جعلت الفرنجة لا يرتحلون إلا على شكل جماعات محروسة، ولا يتجرأ أحد منهم على العيش، أو الظهور خارج أسوار القدس وغيرها من المدن المحتلة.

ولا شك أن القارىء الكريم سيجد المزيد من الفوائد، والله تعالى أسأل العون والسداد، وعليه جل وعلا دوماً أتوكل، والحمد لك اللهم أولاً وآخراً، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن تمسك بهداه إلى يوم الدين.

سهيل زكار

دمشق ٢/ ذي القعدة ١٤١٨هـ

٣٠/ آذار ١٩٩٨م

مدخل

توفي النبي محمد ﷺ في عام ٦٣٢م، وتمكن العرب خلال المتبقي من هذا القرن من فتح معظم العالم المعروف آنذاك، وحررت القدس في سنة ٦٣٧، وظلت العلاقات لقرابة أربعة قرون بين الحكام المسلمين والحجاج المسيحيين جيدة،حتى أن بعضهم يزعم - بدون توثيق - أن الخليفة هرون الرشيد ذهب إلى حد الاعتراف بملكية شارلمان لكنيسة القيامة، وبحمايته للمسيحيين في القدس، ولم يحدث تغيير في المعاملة حتى حلول سنة ١٠١٠، ففي تلك السنة أقدم الخليفة الحاكم بأمر الله، وكان شديد التعصب، ومتهماً بعقله، على إصدار أوامر قضت أن الحماية قد سقطت، وانتهت، وأمر بهدم كنيسة القيامة.

وفي القرن الحادي عشر، عبر الغُزّ إلى خراسان، وانتزعوها بزعامة السلاجقة من أيدي أبناء دينهم، أي من أيدي الغزنويين، واحتلوا العراق ثم اجتاحوا آسيا الصغرى وسورية بما فيها فلسطين، واستولوا على القدس في سنة ١٠٧١، ولئن كان هؤلاء همجاً وعلى درجة عالية من التوحش في معاملتهم لأبناء دينهم المسلمين، فقد كانوا أكثر همجية وأشد وحشية تجاه المسيحيين الذين وقعوا في أيديهم. ودعا في سنة ١٠٩٥م البابا أوربان الثاني إلى الحملة الصليبية الأولى وقال:«إذا أردتم إنقاذ أنفسكم قاتلوا في سبيل المسيح».

ولم يحمل أيا من الشخصيات الملكية «شارة الصليب» في تلك الآونة، وكان أعلى الناس رتبة ممن انضم إلى تلك الحملة هو غودفري دي بويلون. ومن بين جميع الوحدات التي زحفت في الحملة الأولى، وحدته فقط هي التي لم تعان من مأساة قبل الوصول إلى الأراضي المقدسة،

واستولى بلدوين أخو غودفري سنة ١٠٩٨م، على مدينة الرها، كما وتم الاستيلاء الصليبي على أنطاكية في السنة التالية،واقتحم الصليبيون القدس في سنة ١٠٩٩، وهكذا كانت هذه الحملة أنجح الحملات الصليبية جميعاً، ونجم عنها تأسيس المملكة اللاتينية في القدس، التي امتد سلطانها على الفرنجة حتى مدينة الرها، بما في ذلك إمارة أنطاكية مع كونتيتي طرابلس والرها.

وانتخب غودفري ملكاً، غير أنه رفض أن يلبس التاج الذهبي حيث لبس يسوع تاجاً من شوك، وآثر عدم استخدام أي لقب أعلى من لقب «كونت»، وجرى بناء القلاع لحماية المملكة، وشحنت هذه القلاع بجنود انتموا إلى الرهبانيات العسكرية،التي حصلت على العون من المقاتلين المؤقتين من بين الحجاج من أوربا، وتأثر الصليبيون الذين مكثوا بشكل دائم في المملكة بالسكان المحليين، وأصبحوا بسرعة الأشبه بأهل المشرق.

واستولى في سنة ١١٤٤م، زنكي أتابك الموصل، على الرها، مما دفع برنارد أوف كليرفو للتبشير بالحملة الصليبية الثانية، وتطوع كل من لويس السابع ملك فرنسا، وكونراد الثالث امبراطور ألمانيا لقيادتها، وكادا بعد كثير من المشاكل أن يستوليا على دمشق، غير أنهما أعيقا بعدد كبير من المعيقات ولقيا مقاومة فعالة، وفي سنة ١١٤٩، عاد الأحياء الذي بقوا من هذه الحملة إلى أوطانهم.

ويحكى أنه عندما هددت دمشق من قبل الصليبيين، عاش في تلك المدينة فتى كان في حوالي العاشرة من عمره، وكان ابناً لواحد من ضباط زنكي، الذي كان من أصل كردي، واسمه أيوب، وولد الفتى لدى توجه أسرته من العراق إلى الجزيرة، وكان ذلك سنة ١١٣٨، وكان اسمه يوسف غير أنه شهر أكثر بلقبه وهو «صلاح الدين» فهكذا عرف الصليبيون، وقد نشأ هذا الفتى في سورية، وبات صاحب أشهر اسم في تاريخ الصليبيين كله.

واصطرعت القبائل التركية مع القبائل العربية التي قُهرت من قبلهم، بشكل متواصل، ويعد الفضل في استمرار المملكة اللاتينية حية في القدس لمدة طويلة معتبرة. في وسط الجسم الإسلامي، بالدرجة الأولى إلى أنها كانت القوة الوحيدة الموحدة في المنطقة، وقد تحالفت من وقت إلى آخر مع الخلافة الفاطمية بالقاهرة ضد الأتراك، وبات واضحاً أكثر فأكثر عندما وصل صلاح الدين إلى سن الرجولة أن المشرق الإسلامي إذا لم يتحد سيزول من الوجود، وقرر صلاح الدين وجوب توحده، ولقد كان هو الرجل الأكثر موائمة للوصول إلى هذه الغاية وتحقيق الوحدة.

وكان حاكم بلاد الشام آنذاك هو نور الدين بن زنكي، وفي سنة ١١٦٤، بعث نور الدين بشيركوه عم صلاح الدين إلى مصر للاستيلاء عليها، وكان صلاح الدين وقتها في السادسة والعشرين من عمره، وقد ذهب برفقة عمه بمثابة مساعد له ونائب، وعندما توفي شيركوه خلفه صلاح الدين، وقد قبل نور الدين بحلوله محل عمه، وكانت النتائج مرضية جداً، فعندما كان الخليفة الفاطمي في سنة ١١٧١ يحتضر كان صلاح الدين هو وزير مصر وحاكمها، وكانت سورية ومصر موحدتان في دولة واحدة.

وإثر وفاة نور الدين في سنة ١١٧٤، اضطربت الأوضاع في سورية، واضطر الفتى الصالح اسماعيل وريث نور الدين إلى مغادرة دمشق إلى حلب، فجاء صلاح الدين فضبط البلاد ووسع ممتلكاته حتى حلب، وتمكن في السنوات التالية من الاستيلاء على حلب نفسها، وهكذا بات سلطان مصر والشام، وفي العامين التاليين مدّ صلاح الدين سلطانه إلى ما بعد الفرات، ووحد المشرق الإسلامي تحت رايته. وأمضى الحقبة ما بين ١١٨٠ و ١١٨٤ بالحرب ضد المملكة اللاتينية، ووقع في السنة الأخيرة معها هدنة مدتها أربع سنوات، وخرقت هذه الهدنة وتعطلت سنة ١١٨٦ من قبل أرناط (رينودي شاتيلون حاكم أنطاكية، ثم

صاحب الكرك)، وهكذا امتلك صلاح الدين المسوغ لإعلان الجهاد من أجل طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة، ولدمج ممتلكاتهم داخل دولته الكبرى؛ ومع هذه النقطة بدأ المؤرخ حديثه، أي مع الغزوة الناجحة لصلاح الدين ضد مملكة القدس، فهنا تكمن بداية الحملة الصليبية الثالثة، وعندما انتهت هذه الحملة بهدنة ٢- أيلول ١١٩٢، وعلى الرغم من جهود رتشارد الأول ملك انكلترا، كان صلاح قد أزال مملكة القدس من الوجود، ووحد المشرق الإسلامي، لكن نصره الشخصي عاش لمدة وجيزة لأنه مات في دمشق في ٤ آذار ١١٩٣، وهو في الخامسة والخمسين من عمره.

وكان صلاح الدين أنبل الحكام المسلمين وأقدر القادة الذين توجب على الصليبيين القتال ضدهم، وكانت إنسانيته وفروسيته مدهشة واستثنائية في عصر العنف الذي عاشه، ومثل دوما بأخلاقه وسلوكه وتصرفاته أرقى النماذج المثالية التي بشرت فيها الديانة التي آمن بها، ومع أنه كان في بعض لحظات الضيق من الصليبيين كان يقول: دعونا نزيل الهواء الذي يتنفسونه، لقد عامل أسراه من الصليبيين بشكل أفضل بكثير مما عامل به الصليبيون أسراهم من المسلمين، ومجد المرأة واحترمها، وحمى الضعيف، وعبر عن إعجابه بشجاعة عدوه، ولقد نظر هو والملك رتشارد إلى بعضهما نظرة عالية وقدرا بعضهما بعضاً، وكان من الممكن في أوقات سعيدة أن يكونا صديقين متقاربين.

ويرى بعضهم أن رتشارد كان جندياً متفوقاً على الجندي صلاح الدين، لكن صلاح الدين كان قائداً أعظم، اعتمد على ما بثته قيادته في نفوس رجالاته، وعلى ما قام به من توحيد للمسلمين، ومن ثم ايمانه أن هذا سيحقق النصر لعساكره في القتال، وهو لم يتعلم كيف ينظم جيوشه بشكل صحيح، وهكذا لم تكن هذه الجيوش قط أكثر من حشود غير منظمة لكن شجاعة ومتحمسة، ونادراً ما قاد هو قواته شخصياً أثناء

القتال، بمباشرة الحرب بنفسه على رأس الصفوف، وليس مرد هذا لافتقاره إلى الشجاعة، فقد كان شجاعاً، بل لأنه رأى أنه ليس من واجب السلطان مباشرة الحرب شخصياً، بل إدارة المعركة والإشراف عليها، وكان في الواقع، كما أشار مؤرخنا، قد وجه النقد إلى تهور رتشارد وإصراره على أن يكون الأول في ساحة الوغى،وصحيح أنه تفوق كثيراً على رتشارد كرجل دولة، لكنه افتقر إلى الحزم، ولم يكن عبقرياً في الإدارة، ولذلك توزعت دولته الكبرى بين أقربائه ورجاله إثر موته.

وكان رتشارد أصغر سناً من خصمه الكبير بتسع عشرة سنة، ذلك أنه ولد سنة ١١٥٧، لكل من هنري الثاني واليانور الأكوتانية، وفي سنة ١١٧٣ كان رتشارد مع اثنين من إخوانه في حرب ضد أبيهم، لكن الرجل مالبث أن تصالح مع والده سنة١١٧٥، ثم رفض تقديم الولاء إلى أخيه الأكبر هنري، وأعقب هذا نشوب حرب بين الأخوين، انتهت بوفاة هنري في سنة ١١٨٣، واقترح وقتها وجوب تنازل رتشارد عن أكوتين لصالح أخيه الأصغر جون، وأدى هذا إلى نشوب حرب أخرى، طلب خلالها رتشارد العون من فيليب ملك فرنسا ضد كل من أخيه وأبيه، وحدث في هذه الآونة أن قدم رتشارد الولاء لفيليب عن ممتلكاته في القارة الأوربية، وبعدها هزم رتشارد والده، وأرغمه على الاعتراف به ولياً لعهده وخليفة له.

وأدت وفاة هنري الثاني، واعتلاء رتشارد العرش إلى الخلاف بين الملك الجديد لانكلترا وبين صديقه المتقدم فيليب، وامتلك المؤرخ (الذي كان رتشارد بنظره دوماً كاملاً ولايمكن أن يقترف الخطأ) كثيراً من التفاصيل ليرويها حول تطور هذا الصراع، وعندما كان رتشارد في حوالي الرابعة والثلاثين من عمره، قام بالمشاركة بالحملة الصليبية الثالثة، وتعد هذه المشاركة القسم الوحيد في تاريخ حياته وأعماله الذي أكسبه حسن السمعة والمكانة.

ولم يسبق لرجل انكليزي، أن عدّ مملكته مجرد مصدر للمال لينفق على مطامحه العظمى، وكان ما سعى إليه من استخلاص القدس من المسلمين،مع طرائقه في استخراج المال من رعاياه، بلا رحمة قد سبب كثيراً من المعاناة والمصاعب، وعندما أثنى المؤرخ على كرم رتشارد نحو ضيوفه، وإنفاقه بسخاء على الحملة الصليبية، ينبغي ألا ينسينا فعله هذا دافع الضرائب الذي استخرجت منه الأموال.

ورأت انكلترا خلال السنوات العشرالتي حكمها فيها رتشارد، هذ الملك لعدة أشهر فقط، وفي الحقيقة لقد حكمت بشكل أفضل أثناء غيابه (فيما عدا الاضطرابات التي سببها أخوه جون، الملك المستقبلي) مما لو كان حاضراً، لأن المستشارين من الكنيسة والدولة الذين رست السلطة في أيديهم، بذلوا أفضل جهودهم للحكم بشكل جيد، تبعاً لمعطيات أيامهم.

حتى عندما عاد الملك رتشارد من الحملة الصليبية، أمضى عدة أسابيع قليلة في انكلترا، فقد كان اهتمامه أعلى بممتلكاته في القارة الأوربية، وبحروبه الصغيرة مع فيليب وجيرانه، وهناك لدى المؤرخ إشارات كثيرة لاستخدام الزنبورك، أو القوس العقار، الذي كان للتو قد جرى استخدامه، ذلك أن القوس الطويل لم يكن قد عرف بعد بين الأسلحة الانكليزية، وكان رتشارد نفسه بارعاً باستخدام الزنبورك، ولقد استخدم هذا السلاح الجديد بتأثير كبير وفعالية في معاركه الفلسطينية، وحدث أنه من جراء إصابته برمية من قوس عقار قد توفي لدى حصار كالو Chalus في نيسان عام ١١٩٩،وكان عمره وقتها اثنتان وأربعين سنة.

وكان رتشارد رجل عصره، كرس نفسه عن إيمان لتحرير الأماكن المقدسة، ومع ذلك كان خسيساً دنيئاً وبلا قيم، عندما كان مثل هذا السلوك يوصله إلى غاياته، وكان بخيلاً قذراً وخائناً، أو نبيلاً فارساً،

وتعلق ذلك كله بعواطفه وأحواله في ساعة من الساعات، وكانت ثقافته عالية جداً،ولكن شاردة متقلبة الأطوار مثل صاحبها، وكان من الممكن أن يجهش بالبكاء أثناء انفعاله لدى سماعه الموسيقى، التي أحبها وأغرم بها إلى أبعد الحدود، ومع ذلك امتلك عاطفة مماثلة وتعطشاً أعظم للقتل وللقتال، فهذا الرجل الذي يقال بأنه تولى ترقية ابن أخي صلاح الدين إلى مرتبة الفروسية بيده نفسه، أمر بتنفيذ مذبحة عكا، لا بل باشر قتل الأسرى بنفسه، ونادراً ما عاد من حملة ومعه أقل من عشرة رؤوس بشرية إلى اثني عشر رأساً قد علقها من أطراف سرج حصانه كبرهان على بسالته وقدراته الخارقة.

وجعلته رعونته وطباعه العنيفة حليفاً من الصعب جداً تحمله، لكن بلاريب كان أقدر جندي في أيامه، وكسبت تكتيكاته في الأراضي المقدسة إعجاب العدو والصديق، وكان على السواء معلماً سيداً في كل من حرب حصار المدن وفي معارك الالتحام، وكان شخصياً لا يعرف الخوف تماماً، وغالباً ما غامر بنفسه حيث خاف جنوده من اللحاق به، وجعلته قوته الجسدية وبراعته في استخدام جميع أنواع الأسلحة المقاتل الأكثر إرعاباً ممن وجد على كلا الطرفين، وشهر بتفوقه على جنوده أثناء الساعات الحرجة والعمل الصعب، بقدر ما تفوق بشهرته على القادة الآخرين في التكتيك. .

وكان في أثناء حياته، وبعد مماته بوقت البطل الأثير جداً لدى الشعراء المتجولين والرومانسيين، ذلك أنه لم يكتف بايثارهم وحبهم كثيراً، بل إنه عدّ نفسه واحداً منهم، وكان يسر إذا نظر إليه على أنه واحداً منهم، وتمتع بدون سبب في إظهار غنائه وصوته الجميل على القيثارة من نظمه الخاص، وفي الحقيقة لقد بقي عبر القرون شخصية زير النساء وموضع الإعجاب، وهكذا استمر الحال حتى أن السير وولتر سكوت قدمه في سنة ١٨٢٥ بمثابة بطل رومانسي في «الطلسم»، وهي رواية قادت إلى إحياء

شعبيته في القرن التاسع عشر بين أوساط الشعراء والرومانسيين.

وكانت الحملة الصليبية الثالثة آخر محاولة قامت بها المسيحية الموحدة، ومع موت كل من بطلي المسيحية والإسلام، أخذت حرارة الروح الصليبية تغدو مع الأيام أكثر ضعفاً حتى جاء الوقت الذي انطفئت فيه تماماً.

وأرغم أباطرة بيزنطة على إقامة الصداقة مع جيرانهم الأتراك، وهكذا أصبحوا موضع شك لدى بني دينهم المسيحيين، ونجم عن ذلك تعمق الانشقاق، وعلى ذلك لم تكن الحملة الصليبية الرابعة لعام ١٢٠٣، صليبية على الإطلاق، بل كانت حملة ضد القسطنطينية عاصمة بيزنطة، وقادت إلى إقامة الامبراطورية اللاتينية التي عاشت خلال نصف القرن المقبل، وجرى أثناء الحملة الخامسة التي استمرت من ١٢١٨ إلى ١٢٢١، الاستيلاء على مدينة دمياط في مصر، لكنها أخفقت في تحقيق أي تقدم أكثر، وكان الصليبيون سعداء في الموافقة على عقد معاهدة سلام لمدة ثمانية أعوام؛ وتمكن فردريك الثاني الألماني في الحملة الصليبية السادسة من الحصول على القدس، بوساطة المباحثات، وتتوج ملكاً في سنة ١٢٢٩، لكي يتعرض لغضب البابا غريغوري التاسع لأنه توصل إلى التصالح مع المسلمين، وفي سنة ١٢٤٤ ساعد الغزاة الخوارزمية الذين اجتاحوا آسيا الصغرى وأعالي بلاد الشام، على استرداد القدس.

وقاد في سنة ١٢٤٩ لويس التاسع ـ القديس لويس ـ ملك فرنسا الحملة الصليبية السابعة ضد مصر، لتكون مقدمة لتحرير الأراضي المقدسة، لكنه هزم ووقع أسيراً في المنصورة مع الجزء الأكبر من جيشه، ولم يطلق سراحه إلا بعد ما دفع فدية كبيرة جداً، ثم أقلع في سنة ١٢٧٠ في الحملة الصليبية الثامنة، لكنه لم يتجاوز مدينة قرطاج (تونس) حيث توفي، وتولى إثر ذلك الأمير إدوارد الانكليزي القيادة، ووصل إلى فلسطين، واستولى على عكا، لكنه أدرك في سنة ١٢٧٢، أنه لا أمل من حملته، فعاد

إلى وطنه بعدما أعد اتفاقية هدنة لمدة عشر سنوات.

وثابر في السنوات العشرين التالية فرسان الاسبتارية وفرسان الداوية على الاحتفاظ بعكا وصور وبعدد قليل من الحصون في فلسطين،لكن لم تُبذل أية محاولات جديدة جادة لاسترداد الأراضي المقدسة قبل سقوط عكا بأيدي المسلمين في سنة ١٢٩١، حيث تبعها بسرعة استسلام صور مع بقية الممتلكات الصليبية.

وأدت الحروب الصليبية إلى زيادة التجارة وتبادل المؤثرات بين الشرق والغرب، وكان تبادل الأفكار هاماً، لأن النظرة الضيقة لكلا الجانبين قد توسعت كثيراً، فالناس الذين عادوا من الحملات الصليبية جلبوا معهم إلى أوربا أنواعاً من الأطعمة والتوابل لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت في الغرب،وذلك بالإضافة إلى معدات مفيدة وآلات تراوحت فيما بين الطواحين الهوائية إلى السجاد، وظهر السجاد في أوربا في القرن الثاني عشر، واستخدم في البداية لتغطية المناضد والموائد، وذلك قبل أن يتحول الاستخدام إلى تغطية الأرض، وارتفع مستوى المعيشة في أوربا، وبالإضافة إلى ذلك توفر عطاء دائم لاحترام متبادل، لأن المسيحيين والمسلمين أظهروا أفقاً واسعاً واستمرارية وصبراً في الصراع المرير، وهي سمات قدرها المتصارعون على ساحات القتال تقديراً عالياً.

إن كاتب التاريخ رجل مجهول، وبناء على معطيات المخطوطة، ساد اعتقاد أنه كان غيوفري دي فنسوف Vinsauf، لكن اكتشف في ١٨٧٣ م.غاستون الباريسي أن النص موجود شعراً، وقد ترجم من النورماندية الفرنسية إلى اللاتينية الوسيطة في شعر ثماني المقاطع منسوب إلى أمبرويز Ambroise، وهو شاعر جوال نورماندي رافق الملك رتشارد وذهب معه إلى الحملة الثالثة، وعرف العمل الأصلي باسم Carmen Ambroisii، والترجمة الشعرية باسم «رحلة حج وأعمال الملك رتشارد»، وتعرف الآن باسم «صليبية رتشارد قلب الأسد».

وهذا التاريخ أفضل مصدر حول الحملة الصليبية الثالثة، علماً بأن كل أمة اشتركت في هذه الحملة توفر لديها مؤرخوها .

-وقال نيكولاس تريفي Nicolais Trivet وهو كاتب فرنسيسكاني كان في أوائل القرن الرابع عشر، بأن شماساً كان هنا اسمه رتشارد من الثالوث المقدس في لندن قد كتب «رحلة هذا الملك [رتشارد الأول] نثراً وشعراً»، ونقل نصوصاً من التاريخ الحالي، ومن المحتمل أن يكون رتشارد الثالوث المقدس هذا هو «رتشارد دي تمبلو»، الذي انتخب رئيساً للثالوث المقدس في سنة ١٢٢٢، والذي توفي في حوالي سنة ١٢٥٠، ولا يستبعد أن تكون «دي تمبلو» هي كنيته، وأن معناها هو أنه كان من الداوية Templar، ولعله كان شماساً في تلك المنظمة ولم يكن فارساً.

وهناك خلافان صغيران بين نصي الشعر والنثر، وقد يكونان مهمان، فلقد جرى في الشعر استخدام الشخص الأول مفرداً، واستخدم في النثر الشخص الأول جمعاً، وإذا صح أن دي تمبلو قد ترجم بالفعل الكتاب، لعله استخدم لغة الجمع ليضم نفسه، على أساس أنه هو نفسه خدم في الحملة الصليبية الثالثة، وتتضمن هذه الفرضية بحقيقة، أنه في الوقت الذي نجد فيه معظم الكتاب عبارة عن ترجمة قريبة جداً، نلاحظ وجود بعض الإضافات الصغيرة أضيفت إلى القسم الأول الذي عالج الأحداث في فلسطين قبل وصول رتشارد، وفي إحدى الفقرات يقول الكاتب: «لكم توقعنا وصول الملك وانتظرناه بقلق وشوق»، ويومىء هذا إلى أنه كان في عكا قبل وصول كل من فيليب ورتشارد، ومع هذا كتب ما أشار به إلى أنه كان في أسطول رتشارد أثناء الرحلة إلى عكا، ولعل المسألة مردها إلى تحريف صدر عن المترجم، أو إقحام جملة من قبله.

ولقد اعتقد بعضهم أن أمبرويز ربما، هو الذي كتب نصي الشعر والنثر، وأن نيكولاس تريفي أخطأ في عزو الكتاب إلى رتشارد، في حين أن الصحيح هو التأكيد أن الكاتب نفسه كان المسؤول عن النصين،

لكـن يبـدو أن هذا أقـل احتمالاً مـن القـول أنهما ترجما مـن قبـل مترجمين مختلفين، وعلى كل حـال من غير الممكـن تأكيد هـوية شخصيـة المؤلف، وستبقى المسألة موضع شك.

وفي ضـوء تكـريـس المؤلـف نفسـه بشكـل مطلـق للملـك رتشـارد، وملاحظـاته حـول سلوك الايرل جـون، حينما كان في فلسطين، يبـدو من المشكوك فيـه أن يقدم على المغامـرة بالظهور في البـلاط عندما كـان جون ملكـاً، لهذا مـن المستبعد أن يكـون الكـاتـب الأصيـل للشعر هـو أيضـاً الكاتـب لدى الملك جون، والـذي حمل الاسم نفسه، وهو الـذي دفع في ٢ــ تشرين أول سنـة ١٢٠٠، شلنا واحـداً، من أجـل غناء تـرتيلة أثنـاء تتويج الملك جون.

وقد طبعت منتخبات من هذا التاريـخ في هانوفر سنة ١٦١١ من قبل جاكـو بونغـار Jacques Bongars في كتابـه «أعمال الفرنجـة»، ونشر للمرة الأولى كامـلاً في سنة ١٦٨٧ من قبل غيـل وفيل Gall+ Fell في «مجمـوعهما»، وأعيدت طبـاعة النـص الـلاتيني في سنـة ١٨٦٤ من قبـل و.ستب W.stubbs ، في الجزء الأول من كتـاب «تواريخ ومـــذكرات حكم رتشارد الأول»، وتقدم على هذه الطبعة نشر ترجمة انكليزية لا نعرف صاحبها لصالح مكتبة بوهن أنتيكواريان Bohn Antiquarian وكانت قـد نشرت سنة ١٨٤٨، وجـرت الإفادة مـن هذه الترجمة كثيراً في عملنـا هذا.